تصدر عن
مركز الفكر والفن الاسلامي

المشرف العام: حسن بنيانيان

نافذة على الادب الايراني

العدد الرابع / صيف ٢٠٠٥

نـافـذة ٢

دراسات

مدخل الى فن الكتابة القصصية في ايران / د. يعقوب آجند ٦

شاعراً اسمه أمل / عبد الرضا رضائي نيا ١٨

شعر / تعريب: موسى بيدج

نماذج من شعر «أمل» ٣١

بيجن جلالي ٤٠

ابو القاسم حسين جاني ٤٤

سودابه اميني ٥٠

مصطفى علي پور ٥٤

قصص / تعريب: حيدر نجف

بوح النواح / سيمين دانشور ٦٠

النورس / راضية تجار ٧٢

باقة ورود ... ذابلة / محمد رضا گودرزي ٨٢

نخيل بلا رؤوس / قاسم علي فراست ٨٨

بطاقة الباص / احمد دهقان ٩٦

مزرعة القصب / مجيد قيصري ١٠٤

فوانيس

ليلى: اسم كل بنات الارض / عرفان نظرآهاري ١١٢

اخبار وكتب ١١٦

زيارة ١٢٣

رئيس التحرير: موسى بيدج

المدير الفني والرسوم: باسم الرسام

تنضيد الحروف: بتول يگانه

لجنة الترجمة: حيدر نجف، سمير ارشدي، صادق خورشا، موسى بيدج

سعر النسخة: ١٢٠٠٠ ريال ايراني

المراسلات: طهران - شارع حافظ - تقاطع سمية - مركز الفكر والفن الاسلامي مكتب مجلة شيراز
طهران - ص. ب: ١٥٨١٥/١٦٧٧ - تلفاكس: ٨٨٩٥٥٤٣

فصل من رواية

«نخيل بلا رؤوس»

قاسم علي فراست

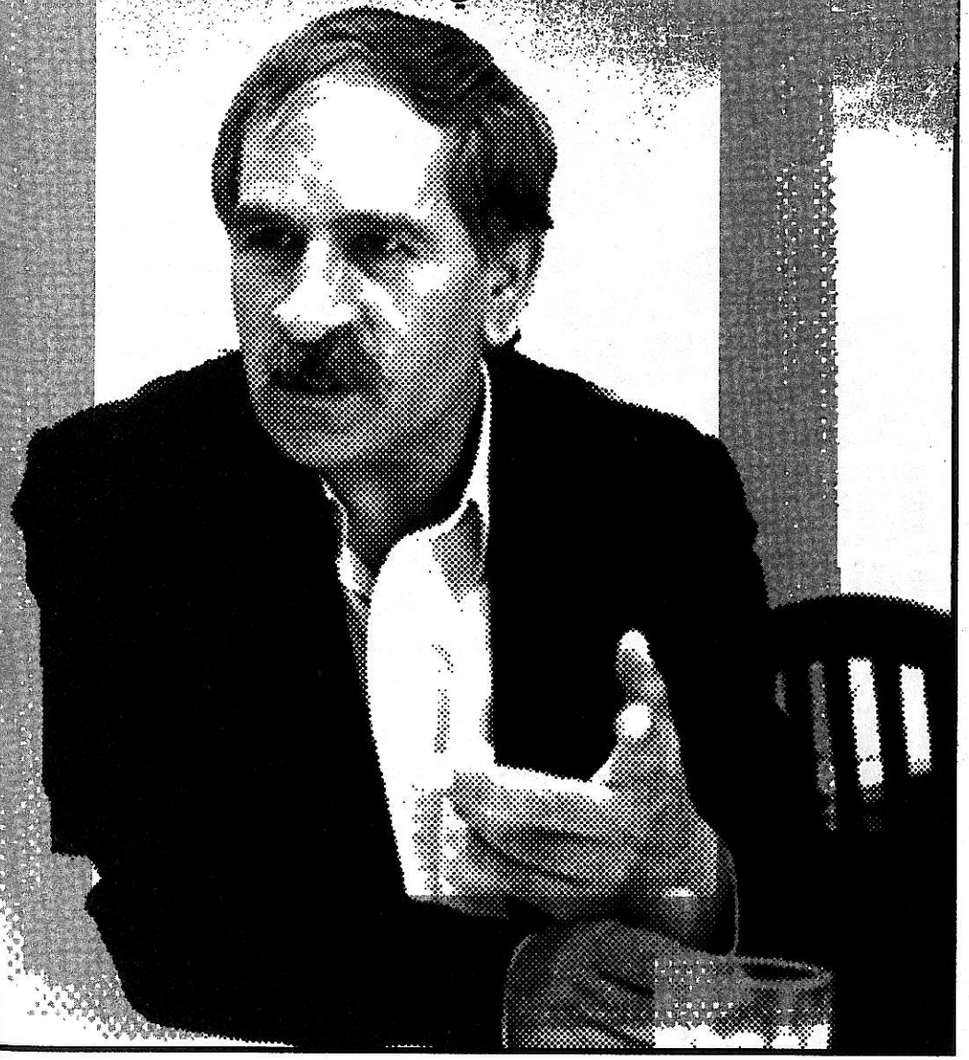

درس الادب المسرحي في اكاديمية الفنون الجميلة بجامعة طهران. وكان له نشاطه من حيز البحوث والبرامج التلفزيونية فضلاً عن اسهامه في الادب القصصي. يعمل الان في تأليف وكتابة موسوعة الفنانين المعاصرين وقد صدرت له عدة كتب منها المجاميع القصصية:

«كلاب خانم»

«العوز»

«البيت الجديد»

«الافكار»

ورواية «نخيل بلا رؤوس» ومسرحية «الطريق المسدود» ودراسة بعنوان «آفات الحرب».

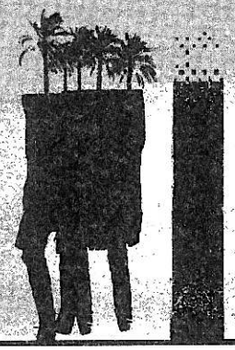

بياض خجول دب في جسد الليل الحال، وراح يلتهم سواده شبراً شبراً. ها قد اطل الضياء على كل الانحاء لكنه خص المشرق بحصة وافرة. الجو جميل في خرمشهر هذه الساعة. ليس فيه حر النهار اللاهب، ولا قبلات البعوض اللاذعة في الأماسي. برودة هانئة تفشت في الاجواء وشجعت الاعين على مزيد من النعاس.

من بعيد، يطرق الاسماع بين حين وحين أزيزُ الشاحنات وضجيج السيارات الصغيرة. سماء المدينة الزرقاء مكتظة بالنجوم. الازهار الحمراء، والأوراد «الغابيّة» الصفراء تداعب الأنوف بأريجها وتستوقف المسرعين برونقها.

الحان ما بعد الفجر تتهادى دعاءً دينياً بعد الاذان لا زال يعم الفضاء من مآذن «المسجد الجامع». مكبره الصوت تكدُ لتصل رسائلها اكبر عدد من سكان المدينة، فتوقظهم من النوم مبشرةً اياهم باندلاع الحرب.

قفز ناصر واخوه الاصغر حسين من فراشيهما بخفة لم تعهدهما قبل اليوم. مسح حسين يديه على الجدار في الظلام ليعثر على مفتاح الكهرباء. استفز الضوء اعين الشابين كالابرة. حسين اصغر وانحف من اخيه لكنه متسرع للذهاب اكثر. خطواته اسرع واخف. اتجه صوب حوض للماء ربض في باحة المنزل تحت شجرة «سدر» كبيرة.

يلامس الماء وجهه فيطير النعاس من عينيه ويزداد حيوية وخفة. يقع بصره على غرفة والديه. مصباحها مضاء. يقول لناصر الذي يرفع يديه:

-استيقظ الوالدان.

-ربما كانا مستيقظين من اول المساء.

توضأ الشابان وارادا ان يقفا للصلاة فدخلت امهما تتودد وتتوسل:

-افديكما بنفسي وكل ما لدي، الان وقد اضطررتُ انا وابوكما للذهاب، تعالا انتما ايضاً معنا.. اتفقنا؟... ستأتيان؟

يقول ناصر:

-اماه، اذهبوا انتم الان، وسنلحق بكم انا وحسين.

لا تكف الأم عن التوسل:

-افديكما بنفسي يا ولدي، تعالا نذهب سوية!

وضع حسين يده على كتفها بحنان وقال:

-امي العزيزه،

لو طلبت ارواحنا لاعطيناها ونحن الشاكرين، اما هذه فلا. لقد هجم الاعداء، اتفهمين؟

هجموا. هل يجب الوقوف بوجههم ام لا؟

وضعت الأم يدها فوق يد حسين التي اعتلت كتفها... داعبتها وقالت:

-أذن ما الذي يفعله كل هؤلاء الجنود والحرس؟ هم سيقفون بوجههم طبعاً!

وقف ناصر للصلاة، وحينما استعد حسين ايضاً لاداء الصلاة، قالت لهما:

-أذن ليأت احدكما معنا على الأقل. يا الهي اية كارثة هذه حلت بنا؟

عادت الأم الى غرفتها يائسة كسيرة تتمتم بعض كلمات.

اصوات انفجارات متقطعة توافى من جهة الحدود. قلب الأم يشتعل قلقاً ورهبة. ايديها لا تطاوعها على جمع الاثاث. استحوذ عليها اليأس والحيرة ولم يدع لها اي شيء، لكنها لا تريد ان تصدق اندلاع الحرب رغم ان ابنتها شهناز اخبرتها باستشهاد اولى النفر العشرون، ورغم ما يقتحم اسماعها من اصوات الاطلاق والانفجارات. ايديها عاطلة عن لملمة الاثاث. تأخذ قطعاً من الاثاث وتكدسها على بعضها دون رغبة وكأنها لم تعد السيدة «كبرى» صاحبة الذوق الرفيع، ولا كأنها رتبت هذا البيت دوماً حتى جعلته كباقة ورد زاهية. كأن السيدة كبرى لم تعد هي السيدة كبرى.

جمعت الافرشة والأواني والصحون والطباخ الصغير وادوات غيرها في وسط الغرفة واثارت حفيظة زوجها:

-ماذا تفعلين يا امرأة؟ هل سنهاجر الى الهند. نقضي اياماً هنا ثم نعود لبيتنا وحياتنا... وهل اندلعت الحرب العالمية الثالثة؟!

قالت شهناز:

-نعم يا اماه... ابي على حق.

دخل ناصر وحسين ففضّا النزاع. القى الشابان متاعيهما على الاكتاف وارادا توديع الأسرة. لفّعت الأم قوامها المنكمش النحيف بملاءتها وعقدتها على خصرها. انحنت توضب الثياب في الحقائب ثم استعدلت وحدجت ابنيها. اطالت النظر اليهما وهي عند اكوام الاثاث. وفجأة قفزت اليهما بذراعين مفتوحتين... ضمتهما الى صدرها بقوة وامطرتهما بالقبلا.

استسلم الأخوان بين ذراعي الوالدة، ثم ندت من بين شفاه حسين همهمة كأنه اراد ان يسمعها اخاه:

-(يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آبائكم واخوانكم...).

كان ناصر قد سمع هذه الاية في الايام الاولى للثورة. شد نظراته الى عيني حسين وانسلا من بين ذراعي الأم التي امسكتهما بكل قواها. لكنهما شاهدا اذرع شهناز وهاجر مفتوحةً

بانتظارهما. عانقت الأختان اخويهما وانهمرت امطار التقبيل مرة اخرى. حينما عانقت شهناز ناصراً اطلقت العنان لدموع صامتة كانت حبستها تحت الاجفان الى ذلك الحين، لكن هاجر وهي الاصغر والاقل صبراً، انفجرت باكيةً بصوت عال. نكس الأب راسه الى الارض ورفع

حاجبيه مجعّداً جبهته. انزلق خطان من الدمع خلف زجاج النظارات وبلّلا لحيته القصيرة. ارتفع صوت الأم بالبكاء. تسمرت عيناها على ناصر وحسين وهما ينتزعان نفسيهما من بين اذرع الاخوات، ويعانقان اباهما الطويل القامة هذه المرة. كان الوالد حتى تلك اللحظة قد سمح لدموعه فقط ان تُرى، لكنه بالضغطة التي تلقاها من اذرع ناصر سمح لنحيبه ايضاً ان يُسمع:

-ابني الحبيب، ناصر!

وانهمر شلال الدمع.

قبّل ناصر يدي والده ثم تركهما. رفع حقيبته عن الأرض وفسح الدور لحسين. حينما اقترب الأب من حسين، كانت الأم قد استخرجت قرآنها الذي اهداه لها زوجها قديماً من بين كتب شهناز وقبلته. تمتمت كلمات غير مسموعة وتوجهت نحو الباب الخارجي. قبّل الشابان القرآن الذي رفعته امهما فوق رأسيهما وسارعا في الذهاب. تملت الأم قواميهما وذرفت الدموع. لم تكن عيناها تبصران شيئاً سوى قامتي ابنيها. وحينما ابتعدا عنها قليلاً تذكرت انها لم تضع نظارتها حتى تتملاهما افضل. نادت عليهما فالتفتا الى الوراء. قال ناصر:

-ماذا يا اماه؟

لم تجب الأم بشيء، ركزت نظرها عليهما فقط. ادرك حسين وناصر الأمر وبقيا ينظران لأمهما لحظات دون ان ينبسا بكلمة. لكن ناصر هتف فجأة: «هيا بنا». انصرف الشابان والأم لا تزال عند الباب تشيعهما بنظراتها. تذكرت بيت شعر كان يقرأه خطيب المسجد ايام محرم عن لسان الامام الحسين وهو يودع ولده على الأكبر السائر الى ساحة القتال:

قلبي معك تارةً وتارةً مع خالقي

أذهبْ، فلا يجتمع حبيبان في قلب واحد.

تلفتت برأسها ذات اليمين وذات الشمال واستسلمت للبكاء تماماً. كانت تنظر اليهما بحسرات اللقاء الأخير. حينما انعطفا في الزقاق انتزعت قلبها منهما وهمت بالعودة الى الغرفة واذا بها تتنبه لزوجها وبناتها ينظرون هم ايضاً الى حيث غاب الشابان عن الانظار.

الضياء يمتد في الأزقة ليبتلع كل ما تبقى من ظلام الارض. وكأن الناس بدأوا حياتهم اليوم اسرع من كل يوم. وقفوا طابوراً امام المخبز الذي انار مصابيحه للتو. عدد من النساء والرجال

جلسوا عند بقالية «السيد مرتضى» ينتظرونه. دبت روح جديده في الشارع الاصلي سلبه اجواء الأيام السابقة. سيارات البيكاب حمّلت كل ما تستطيعه من اثاث الناس وتحركت بسرعة صوب الطريق الخارجي لمدينة اهواز. السيارات الصغيرة ايضاً كانت ممتلئة. تكدس الركاب على مقاعدها والاثاث والافرشة في صناديقها الخلفية وعلى سقوفها. الكل متسرعون يحاولون مسابقة بعضهم.

حينما اجتازا الحمام العمومي شاهد حسين زميله في المدرسة «غلام رضا» يحمل حقيبة ويساعد والده في رزم الامتعة وتوضيبها. سأله:

-الى اين يا غلام رضا؟

يتلقف غلام رضا انفاسه بصعوبة ويقول:

-نغادر مع العائلة الى طهران. الوضع هنا كما تراه، لا يمكن البقاء. الى اين تذهبان؟

تجهم وجه حسين ولم يجب بشيء،

لكن ناصر تمتم بصوت خافت:

-عديموا الغيرة.

لم تكن الشمس قد ارتفعت بعد في سماء المدينة، غير ان ضياءها كان يمسح على رؤوس النخيل الطوال فيخبرن عن وشك طلعتها. هنا ضجيج امام البقالية... الناس يتدافعون ويهتفون كل بما يريد:

-سيد محمد، ماذا عن سكّرنا؟

-لم تعطنا الرز، خمسة كيلوات.

-هذا دوري يا اخي، وقفت هنا منذ الفجر ولحد الان.

-سيد محمد، رجاءً، صابون ومسحوق غسيل.

-اف !! البارحة اخذت كيساً من السكر.

-اعطنا السكر وخذ ثمنه، هل عيّنوك مفتشاً على الناس؟

سرّع حسين وناصر خطواتهما وابتعدا. حينما وصلا الى الشارع خلف المسجد، سأل حسين:

-على فكره، الى اين يجب ان نذهب الان؟

لم يجب ناصر وتابع المسير بصمت. بعد قليل كسر صمته وقال:

-لا ادري. ولكن... ولكن قد نتوجه نحو «المقر» و «شلمچه»... نحو الخط.

-وماذا نقول اذا ذهبنا هنا؟ اذا طلبنا اسلحة فلن يعطونا بالتأكيد. لم نخدم في الجيش ولا نعرف كيف نستعمل البندقية.

ناصر يفكر في الذهاب. يطيل خطواته فيضطر حسين للهرولة:

-لنذهب الان، وسيتضح كل شيء. هل كل الشباب الذاهبين يحسنون استعمال البنادق؟ ثم اننا نستطيع قيادة السيارات، نستطيع حفر الخنادق، نستطيع اخذ الجرحى الى المدينة...

يدوي صوت انفجار من قرب المقر فيقطع ناصر كلامه. يرهف سمعه ليسمع اكثر، فيقول حسين:

-عديموا الشرف... هيا اسرع يا ناصر.. اركض.

عم المدينة ما يشبه الفوضى. عدد من السيارات مكتظة بالركاب والاثاث تتجه صوب طريق عبادان... عددها يزداد كل حين. بضعة شباب وقفوا على ظهر سيارة بيكاب يهتفون «الموت لامريكا» والسيارة تتجه بهم نحو المقر وشلمچه. حينما وقعت اعين الأخوين عليهم تضاعفت الحيوية في جسميهما والأمل في فؤاديهما.

سارع حسين الخطى وراح يهرول الى جانب اخيه، واذا بهما يبصران مراقب الصف.

كان يلهث وهو يأتي من الجهة المقابلة. وقف حين راى حسيناً:

-الى اين يا حسين؟

-اذهب مع اخي الى المقر.

-اسمع، كنتُ هنا الان. يريدون قنابل «مولوتوف» يدوية. تعال ناتي بالقنابل.

اراد حسين ان يفكر، لكن صديقه هتف به:

-هيا، اسرع.

قال حسين لأخيه:

-أذن، اذهبُ معه لناتي بقنابل.

-اذهب، وانا اسير نحو المقر. سنرى بعضنا هنا.

لوّح الاخوان لبعضهما وافترقا.